ندوة العلماء ودار العلوم

انشأ مسلمو الهند جمعيةً عمليةً دينيةً سموها ندوة العلماء وقد اشتمت هذه الندوة بانشاء مدرسة كبيرة سمتها دار العلوم واحتفلت في آخر شهر نوفمبر الماضي بوضع حجر زاويتها . وقد وصفت ذلك مجلة البيان التي تطبع في مدينة لكنؤ ببلاد الهند فقالت ما خلاصتهُ

عقدت حفلة ندوة العلماء في ٢٨ و٢٩ و٣٠ نوفمبر الفارط في مدينة لكنؤ فاتها المسلمون من كل الاصقاع من الامراء والعلماء والوجهاء وكانت الحفلة بهيجة لم يرَ الناس مثلها سبقَ حسن انتظامها وبلاغة ما أُلقي فيها من الخطب الداعية الى نشر المعارف واعادة مجد العربية في بلاد الهند ومحو المراسم والبدع التي تجري عليها العامة باسم الدين ورفع الخصام الملي واصلاح ذات البين وتوطيد الاخاء والوئام بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم. وقلت الحفلات ولم يحدث فيها ما يريب ذوي الالباب او يشين الجمعية المعروفة بندوة العلماء

وقد اجتمع في هذا الاحتفال جمهور كبير من صفوف الناس فيهم المسلمون والافرنج والهنود وكان بين المسلمين اهل السنة وعلماؤهم والشيعة ومجتهدوهم والمقلدون والمستقلون والصوفية والاحناف والوهابية والمتفرنجة . وهو اول اجتماع ديني حفل اهل المدن المختلفة كأنما هو طائفة رياحين مختلفة فتحاتها والوانها

ولما حانت الساعة المعينة اتى الوالي السر جون هويت وقرينتهُ فاستقبلها اعضاء الندوة واتوا بهما الى الدكة المقامة لجلوسهما فجلسا على كرسيين من الفضة وافتتح الاحتفال بعد ان تلا القارئ آيات من القرآن الحكيم وقُدمت الى الوالي عريضة الحال فاجاب عنها بخطبة مسهبة اثنى فيها على الخطة التي سارت عليها الندوة من رفع الخصام ونشر المعارف الحديثة ممزوجة بعلوم الدين وعدَّ اعضاء الندوة من مخلصي دولته . وقام بعد ذلك مع جماعة من وجهاء المسلمين ووضع حجر اساس المدرسة

اما عريضة الحال التي قدمتها الندوة اليهِ فهذا نصها على ما في مجلة البيان

مولانا الاكرم : نحن اعضاء ندوة العلماء نرحب بكم من حيث كونكم نائب الحكومة في هذه الايالة ونشكركم على اجابتكم دعوتنا لوضع حجر اساس دار علوم الندوة فيشكركم على ذلك كافة المسلمين فان الندوة كأنها لسان حال الامة ولا يوجد قيد شبر من الارض الاَّ وفيهِ انصارها وحماتها وقد امتازت بهذا ما للدولة الانكليزية من الشائع الديني الذي هو من مزايا الامة الانكليزية خاصة والذي هو ملاك والحكومة عمودها فان الندوة ليست لأجمعية دينيةً

مولانا الاكرم : نحن نستدعي من حضرتكم ان تسمحوا لنا بابداء مطالب الندوة وطرائقها التي من احد مظاهرها الجلية دار علومنا هذه

مولانا الاكرم : ان المسلمين منذ وجدوا الى يومنا هذا لم تزل فيهم طائفة تلقب بلقب العلماء وهم قادة الحزب الاسلامي في امور الدين واحكامه والامة كانت تقفو اثرهم وتتبع هداهم في كل ما يتعلق بالدين ولو في امور الدنيا وكانوا انموذجاً لتمدن الاسلام ومكارم اخلاقه . والامر الذي استوجب وجود هذه الطائفة هو ان ما تتقوم به جنسية المسلمين ليس خصوصية الاقليم ولا الشعب ولا الاسرة كما في الامم الاخرى بل كل من اعتنق دين الاسلام يحصل له كل ما كان للمسلمين قاطبةً على اختلاف جنسيته وعشيرته ومبدئه ولما لم يكن للمسلمين حزب ليختص بدعوة الدين كانت الامة تحتاج الى مثل هذه الطائفة لكي لا تحيد عن قصد المحجة وهذا الامر دعي الى ان نشأت طائفة كبيرة من العلماء لا يقل عددهم عن امثالهم في الامم الاخرى . ومن مزية امم الاسلام ان العلم كان فيها يكتسب لاجل العلم فقط مع صرف النظر عن كل مرعًى . وغاية ما في هذه الامة من احترام العلم والخضوع له والتفاني فيه امر لا تشاركها فيه امة حتى ان الرؤوس المتزينة بالتيجان كانت تخضع له كرامة والحق ان تأخر الامة ما كان الا بعد ما فقدت هذه الطائفة مزاياها فذهب ما كان لها من المكانة عند القوم وحينئذٍ حرمت الامة من قيادتها وتبدد نظامها وعند ذلك اشتغلت هذه الطائفة بمجريات الامور وبلغ الحال الى ان رفعت الشكاوي الى المحاكم السلطانية فقام حينئذٍ حزب من العلماء لسد الخلل واقامة معالم الاصلاح وكان من اول مظاهره هذه الجمعية المسماة بالندوة انعقدت حفلتها الاولى في كانفور سنة ١٨٩٣ م وفي سنة ١٨٩٨ م صادقت الحكومة عليها رسميًا وبلغت حفلاتها الثنتي عشرة حفلة اجتمعت فيها العلماء وعامة الناس على اختلاف اهوائهم واذواقهم . اما مطالب الندوة فتنحصر مهماتها في اربعة امور

(١) ترقية المدارس العربية واصلاحها
(٢) رفع الخلافيات الدينية
(٣) اصلاح امور المعاشرة والاخلاق
(٤) نشر الاسلام وكل ما يتعلق بالمنافع العمومية

في بدء الامر ظهر الترحيب بالندوة من جميع الامة كافة فتوسمت حينئذٍ في مطالبها وكان من اول مساعيها انها اجتهدت في رفع الخصام الحادث في اخراب الامة واصلاح ذات البين وفازت في ذلك الى حد لا يستهان به وكذلك سعيها بتخفيض نفقات موائد الفرح والالم

لم يذهب ادراج الرياح ثم ان الندوة اقامت دارًا للانشاء في لكنؤ وعملاً للايتام في كانفور

ولكن كان اهم مطاليها امر التعليم فأصلح ما فسد منهُ ليكون سببًا لوجود شرذمة تهدي الناس في الامور الدينية . ومن البيّن ان التعليم الصحيح هو الذي يزيل كل داء اعترى الامة ويحجزها عن سبيل رقيها ونظرًا الى ذلك اسست الندوة في سنة ١٨٩٨ م مدرسة سمتها بدار العلوم كانت في اول الامر مدرسة ابتدائية ثم تحولت الى كلية في سنة ١٩٠١ م وصارت كأنها اساس جامعة دينية

ولما كان امر التربية اعظم خطرًا من التعليم تأسست دارٌ اقامةٍ للطلبة

ولكن كان من شؤم الحظ ان الامة لم تقدر مسعى الندوة حق قدرهِ فالفئة القديمة اساءت الظن ان ادخال الفلسفة الجديدة في نصاب التعليم يورث وهنًا في الدين حتى الفت كتب ورسائل في تكفير حزب الندوة

وفوق ذلك ان الناشئة الجديدة ايضًا كانت تقاعد عن الاخذ بناصرنا فانها كانت تحسب ان الندوة تقيد حرية الافكار وكانوا عاجزين عن فهم منافع احياء العربية اصلاً ومع ان الندوة كانت درية لسهام كلتا الطائفتين لم تزل لها قدم ولزمت محجتها واختارت لنفسها جادة وسطًا فرتبت نصابًا جديدًا رجح فيهِ جانب الادب والعلوم الدينية ومع ان دار العلوم لم يمضِ عليها روح من الزمان انشأت تلاميذ يقدرون على ارتجال الخطب من غير روية وهذا شيء لم يسبق لهُ مثيل وكان يعد امرًا نادرًا في ايام الحكومة الاسلامية ايضًا وقد اضفنا في نصاب التعليم الفلسفة الجديدة وكانت هذه بدعة تعد كفرًا في المدارس القديمة . ومما زادت الطين بلّة انا ادخلنا في نصابنا تعليم اللسان الانكليزي لزومًا فكان من ثمرتهِ حرمان الندوة من بعض المساعدات المالية حتى ان بعضًا منهم استرجع ارضًا كان وقفها على دار العلوم ولم نألُ جهدًا في الاستفادة مما لاهل الغرب من الاكتشافات الجديدة في العلوم العربية

وخزانتنا تحتوي على اكثر ما كتبهُ المستشرقون في امثال هذه المسائل وعلى كتب غير هذه تصلح ان تكون زينًا لكل متحف علمي وتلامذتنا لهم مزيد شغف في الاستفادة عن تلك الخزانة ويوجد فيهم من يكتب في مجلة الندوة مقالات علمية يستحق التنويه بها

والآن اردنا ان ننشئ لجنة يكون اعضاؤها تلامذة مدرستنا الذين يقفون حياتهم على الفحص عن المسائل العلمية المهمة

فبناء على ما توارثنا من آبائنا لا نأخذ للتعليم اجرة ونريد ان نوسع نطاق التعليم حسبما تعيننا على ذلك المساعدات المالية ومن اهم مزايا مدرستنا ان الذين يقوا على الحيادة عن

المدارس الدولية لاجل التعصب الديني او لاجل عدم الثروة لا يخون الا الى مثل التعليم الذي اختارته الندوة فانها جعلت تعليمها تحت سيطرة التعليم الديني

ونحن نجثرئ على ان نعرض على مسامعكم ان دار علومنا مع قلة بضاعتها وقصر باعها ابرت على امثالها من كلا النوعين بنوع خاص فانهم ابعد ذيلاً عن التقشف وبراءا من التقعنعة الفاسدة ومع ان مدرستنا لا تقدر على احداث طائفة يصلحون للتوظف في اعمال الدولة ولكن نحن على ثقة ان مدرستنا تنشئ رجالاً يقدرون على اطفاء الثورات الحالية التي تريد اتخاذ سيطرة الخالق والمخلوق معاً رجالاً يكون من شيمتهم الاستكانة للاكابر والمواساة للجار والتواضع للعامة وفوق كل ذلك الانقياد للحكومة والخضوع لها

فمدرستنا تنفخ في طلبتها روح المسامحة الدينية التي فتحت ابوابها لكل حزب فلم تعتن طلبتنا ولا اساتذتهم بالمشاجرات التي حدثت اليوم بين الشيعيين المتشيعين من المسلمين وعلماء جلتنا لا يزالون يدعون الناس الى الخير والصلح فنرجو من دار علومنا والمدارس التي تتبع سبيلها انها تخرج طلبة سيسودون الامة ويملكون ازمتها مرة اخرى ويجسون النفاق ويشقون عصا النفاق ويصيحون لترسيهم في المعارف الحديثة والقديمة واسطة موصلة بين الفئة الناشئة وحزب التقهقر الضيق ونحن على يقين من ان المسلمين كما يسلم اذعانهم لحكومتهم يزيدون من هؤلاء العلماء الناشئين طاعة وانقياداً للحكومة . والآن نقدم الى جنابكم اركى التشكرات حيث تفضلتم علينا بقطعة من الارض لنرفع عليها قواعد مدرستنا وبعد ذلك نحن نشكر الذين بلغنا من مساعدتهم ومساعيهم الى هذا الحد ونخص من بينهم اولاً سمو النظام امير حيدر اباد الذي نعترف بجود امارته من نعومة اظفارنا وان لم نرزق زيارته حتى الآن وبعد ذلك نؤدي مفترض الولاء الى سمو الملكة اميرة برفال التي تمخنا وظيفة سنوية ونبث ايادي امارة باولفور التي رفدت اميرتها غير ما تسمح به امارتها سنوياً بمنحة تساوي خمسين الف روبية هياً فنا لنتشرف بان يضع سعادتكم حجر اساس كليتنا

ونرى من واجباتنا ان نذكر من غير هؤلاء الكرماء الذين اخذوا بايدينا وساعدونا بما توخينا من الخير كرنل خان بهادر عبد المجيد خان وزير خارجية امارة بلياله ونحن نشكر المستراي ال ساندرس والمستر اس ايچ بطلرمي . اي . اي والمستر ال امجايلنك الذين نصرونا بتحصيل القطعة التي انعم بها علينا وفي الختام نحن نشكر جنابكم من صميم افئدتنا حيث نصرتمونا مما تنبتم الينا من اعنة فضلكم ونعيد مرة اخرى تشكرنا الذي نقدمه الى جنابكم حيث قبلتم ان تضعوا بيدكم الكريمة حجر الاساس . والآن نسألكم ان تأخذوا بهذا العمل الخطير الذي يبقى على كر الدهر